الاسترتيجيات الحجاجية في كتاب الحماسة البصرية

Argumentative strategies in the book Visual Enthusiasm

م.م زينب غازي كريم كاظم
Zainab Ghazi Karim

college of Education for Humanities / University of Babylon

Keywords: Arguments, poetic text, visual enthusiasm

الكلمات المفتاحية : الحجاج , نص شعري , الحماسة البصرية .

الملخص:

الخطاب الحجاجي غايته الاولى الإقناع ويكون هذا متجلي بتقنيات مخصوصة واساسية ليسند الأطر التي يقدمها الشاعر فيؤكد على التركيز والتأثير في استمالة المتلقي بغرض المقبولية .

Abstract:

Argumentative speech has the primary goal of persuasion, and this is manifested in important basic techniques to support the frameworks presented by the poet, thus emphasizing the focus and influence in winning over the recipient for the purpose of acceptability.

المقدمة:

يقوم الحِجاج على بنيةٍ لغويةٍ تتم بين اطراف العمليةِ التواصليةِ المتمثلةِ بالمتكلم والمتلقي إذاً هو اليةٌ خطابيةٌ يمارسها المتكلمُ مع الاخر دفاعاً عن افكارهِ ومعتقداتهِ محاورا او مقنعا او مفندا وهذا يتمُ عِبر شبكةٍ متتاليةٍ من الاقوال تتضمن طاقاتٍ حجاجيةً مكثفة ولمّا كان الشعرُ العربيُ ابداعا لغوياً يتصف بالاستمرارية فنجد أنّ الشعراء عمدوا الى استعمال افضل المقومات في بناءِ نصوِصهم الشعريةِ معتمدين بالدرجةِ الاساس على التقنياتِ الحجاجيةِ بما تُثيرهُ من تأثيرٍ وانفعالٍ لدى المتلقي وبذلك يكونُ المتكلمُ قادراً على اقناعهم بما يُريد ويرغب.

حيث جاء البحث على مطلبين : الأول الجانب النظري , والثاني الجانب التطبيقي ثم ختمت الدراسة بخلاصة توصلت إليها ,تلحقهما قائمة بالمصادر والمراجع .

1- الجانب النظري:

فقد ورد الحجاج في المعجم الفلسفي بإنّه " يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي وابطاله والمحاجّة طريقة تقديم الحجج والافادة منها " . [1]

أما في كشّاف الاصطلاحات والفنون هو " مرادفة الدليل والحجة الالزامية المتركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم المقصود منها الزام الخصم واسكاته " . [2]

وجاء كذلك في موسوعة لالاند على إنّه " طريقة عرض الحجج وترتيبها أو هو سرد حجج ترجع كلها إلى الخلاصة ذاتها " . [3]

والحجة إذاً " في معناها السائر هي إمّا تمش ذهني بقصد إثبات قضية و دحضها ، وإمّا دليل يقدم لصالح أطروحة ما أو ضدها " [4] . والجدير بالذكر إنّ نظرية الحجاج لم تكن حديثة إذ ارتبطت بالإنسان ووجوده ، وبذلك تباينت نظرة الدارسين المعاصرين من الغرب والعرب لمفهوم الحجاج إذ ولدت هذه الظاهرة اللغوية مع مولد اللغة ؛ لأنها تحمل بصفة جوهرية وظيفة حجاجية . [5]

فإذاً " الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج والمعنى ذو طبيعة حجاجية " [6]و يعد (بيرلمان) من الأوائل الذين تبنوا هذه النظرية التي أسس معالمها أرسطو ولهذا نجده انطلق من المسار الارسطي القديم محاولًا بناء بلاغة حجاجية جديدة تتماشى مع روح العصر وإنّ (بيرلمان) وصديقه كان لهما الفضل في هذا الاتجاه . فهو يبني نظريته على أسس أرسطية ، إذ يمكن القول إنّ الخطابة الجديدة التي وضعها قائمة على اعادة الاعتبار إلى خطابة أرسطو من جهة وعلى تجديدها بتوسيع مجالاتها من جهة أخرى [7]

وبهذا المفهوم الجديد يطلق بيرلمان الخطابة من عقالها لتنفتح على جميع الخطابات الإنسانية الاخرى [8]

ومن هنا تتأتى اهميه الحجاج في البحث من كونه يقاربُ نصوصاً شعريةً مقاربةً حجاجيةً لتصبح هذه النصوصُ محلاً في استراتيجيات الاقناع

3- الجانب التطبيقي:

شكلت الحماسة البصرية مادة مهمة للدرس والتحليل واشتملت على مختارات شعرية مختلفة ونحن هنا بصدد تحليل هذه النصوص ومعرفة ما يتجلى بها من طاقات حجاجية وهذا هو مدار بحثنا فالخنساء في هذه السطور تسفر عن خصال حميدة تجلت بأخيها فتوجهت للمتلقي بروح مُلتهبة ملؤها الحزن والوجد فتقول في ذلك :(من المتقارب).

أَعَينَيَّ جودا وَلا تَــجمُدا أَلا تَبكِيانِ لِصَخرِ النَدى

طَويلَ النِجادِ رَفيعَ العِمادِ سـادَ عَشـيرَتَهُ أَمــرَدا

يكلِّفُهُ الــقَومُ ما عــالُهُم وَإِن كانَ أَصغَرَهُم مَولِدا **(9)**

تتحدث الشاعرة في هذه الأبيات عن أخيها صخر الذي اختطفه الموت حيث أنشأت مراثيها التي تصور آلامها وتعبر عن الحزن العميق وأوضحت مكانة المرثي ومدى أهميته عند قومه لإثارة المشاعر فرسمت للمتلقي صورة كاملة ومتجانسة ما بين الفضائل والخصال التي اجتمعت في ذات أخيها فللصورة أبعاد حجاجية متعددة وتعول حجاجية الصورة بشكل كبير على المتلقي فالبحث بها " يكمن في علاقتها بالمتلقي وعلاقة المتلقي بها و مدى استيعاب المتلقي للصورة وفهمه لأبعادها ودلالاتها " [(10)] ،وقد استعملت الكناية في قولها (طَويلَ النِجادِ رَفيعَ العِمادِ) إشارة إلى قوة وشجاعة صخر ولتوكيد الصورة في ذهن المتلقي ، ففي النص أعلاه عمدت الخنساء إلى تحريك مشاعر المتلقي واشعالها وهذه هي إحدى منطلقات الإقناع في النظرية الحجاجية .

وكذلك يصادفنا نص شعري بليغ للنابغة قيس بن حيان الجعدي حيث قصد به الفخر بالمجد السامق و إنه متأصل منذ الجدود يقول به : (من الطويل)

بَلَغْنا السَّماء مَجْدُنا وجُدُودُنا وإِنَّا لَنرْجُو بَعْــدَ ذلكَ مَــظْـهَــرا

لَقِيتُ الأُمُورَ صَعْبَهَا وذَلُولَـها ولاقَيْتُ أَيَّاماً تُشِــيــبُ الــحَــــزَوَّرا

وإِنَّا أُناسٌ مـا نُـعَــوِّدُ خَـيْلَـنـا إِذَا ما الْتَقَيْنا أَنْ تَـحِـيـدَ وتَــنْــفِـرَا

ونُنْكِرُ يومَ الرَّوْعِ أَلْوانَ خَيْــلِـنا مِــن الطَّعْنِ حتَّى نَحْسِبَ الجَوْنَ أَشْقَرا

ولَيْسَ بمَعْرُوفٍ لَنا أَنْ نَـرُدَّهــا صحاحاً ولا مُسْتَنْكَراً أَن تُـعَـقَّـرا[(11)]

عمد الشاعر إلى تضمين عدد من المعاني ليؤسس عليها حجــاجه محاولًا كسب ود المتلقي ليصل إلى مبتغاه موظفًا الفاظًا قوية تدل على ضراوة الحرب و كثرة الدماء التى سالت جاعلًا من وصفه لشجاعة قومه وحماسهم في أرض المعركة ذات قيمة حجاجيــة فاعــلة ففي قوله نجد كثافة الحجج (نُنْكِرُ يومَ الرَّوْعِ أَلْوانَ خَيْــلِـنا ولَيْسَ بمَعْرُوفٍ لَنا أَنْ نَــرُدَّهــا صحاحاً .....) ، ومن المعلوم أنّ المتلقي

من أهم الأطراف الحجاجية وإنّ غاية الحجاج الأساس هي التأثير به فكل المقومات لا تكتسب الأهمية إلا عندما تجد الصدى فيه وهذا يعتمد على ذكاء الشاعر وشاعريته في توظيف الألفاظ بأسلوب متناغم يتلاءم مع طبيعة مقامه،(12) ولذا فالشاعر اتكأ على عدّ مفاخر قومه ليحقق بها قوة حجاجية يذعن لها المتلقي وتحرك عواطفه لتكون أكثر مقبولية في ذهنه فجاء النص منسجمًا مع حال ومقـام المتلـقي .

ومنه أيضاً قول الزبير بن عبدالله : (من الوافـر)

وليس الفقر من اقلالِ مـــالٍ ولكنْ احمـــق القـــوم الفقير**(13(**

وفي الصدد نفسه قول الشاعر الحطيئة العبسي : (من الوافر)

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكنّ التقـــيّ هو السعيـــد[14]

في النصين السابقين عمد الشاعر إلى نفي الفقر فجاءت أداة الربط (لكن) بين متناقضين فما تقدم الرابط الحجاجي (وليس الفقر من اقلالِ مـــــــالٍ) هو نفي للفقر وللسعادة التي تأتي بجمع المال أمّا النتيجة المضادة التي جاء بها الشاعر ونفى بها الحجج السابقة تتضمّن بما بعد الرابط (لكن) والمتمثلة بقوله (لكنْ أحمـــــق القـــوم الفقير **(** و هنا تكمن الفعـــالية المتجلية بالرابـــط الحجاجي

ويتوضح بذلك حقيقة الاستدراك فالحجة التي وظفها تكمن في قوله :

)وليس الفقر من اقلال مال) تخدم نتيجة مضادة متمثلة بقول الشاعر(بأنّ الأحمق هو الفقير) بمعنى أنّ الفقر لا يقاس بقلة المال وعدمه بل بقلة الخلق وانحلاله فجعل من الأحمق فقيراً كذلك الحال ذاته في البيت الثاني فالشاعر جاء بحجة تقابلها نتيجة مضادة ليقوي بها خطابه الحجاجي ومن ثم يعمل على التأثير بمتلقيه وإقناعه بما يريد .

ومن قول الشاعر: (من البسيط)

إنّ الأعادي لن تنالَ قديمنا حتى تنالَ كواكب الجوزاءِ**[15]**

صوّر هذا النص صفات القبيلة التي يفخر بها الشاعر ويتغنى بمآثرها فأفضى على قومَه ابهى الصفات فهو يريد ان يضيف طاقة حجاجية لنصه فعمد إلى توظيف الرابط (حتى) ليوضح مدى الشجاعة التي ينماز بها أبناء قومه فقدم حججه بما يخدم وجهته فالشاعر ابتدأ نصه بالحرف المشبه بالفعل للتأكيد والإثبات ولدعم النتيجة وحمل المتلقي على القبول ، فحجته متمثلة بقوله (الأعادي لن تنالَ قديمنا) اتبعها بالرابط (حتى) ومن ثم ادرج النتيجة الاتية (تنالَ كواكب الجوزاء) ، فالحجة التي سبقت الرابط حتى واللاحقة لها يخدمان النتيجة ذاتها، ألا وهي مدى شدة وشجاعة وبئس القوم ومن ثم يتوجه القول الحجاجي نحو النتيجة التي يريدها الشاعر للتأثير في متلقيه ومن ثم تدعيم موقفه ، ونلحظ أنّ حتى وظفت للربط بين حجتين لهما توجه حجاجي واحد ، فالشاعر يصور امجاد قومه ويشيد بعزتهم ويعلّي من شأنهم إذ جعل الوصول إلى اعتابهم كما الوصول إلى كواكب الجوزاء فنجد إنّ النص زآخر بالعاطفة الجياشة والخيال الخصب من حيث توظيفه للألفاظ والعبارات التي تؤثر في ذهن المتلقي .

ومن أمثلة تضمين استراتيجيات الحجاج عند شعراء الحماسة قول (الفرزدق همّام بن غالب): (من البسيط)

هذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَــهُ وَالبَيتُ يَعــــرِفُهُ وَالــحِــلُّ وَالــحَــرَمُ

هَذا اِبنُ خَيرِ عِبــادِ اللهِ كــــــلِّهِمُ هَــذا التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِــرُ العَــــلَــمُ

إِذا رَأَتهُ قُرَيــــــشٌ قــــالَ قائِــلُها إِلى مَكــــارِمِ هَذا يَنتَــــهي الكَــرَمُ

وَلَيسَ قَولُكَ مَن هَذا بِــضائــــــرِهِ العُربُ تَعرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَــــجَــمُ

هَذا اِبنُ فاطِمَةٍ إِن كُنتَ جاهِــلَهُ بِجَدِّهِ أَنبــــياءُ اللهِ قــــد خُتِــــمــــوا[16]

قيلت هذه القصيدة في مدح (الإمام زين العابدين)عليه السلام وبحضور (هشام بــن عبد المــلك)عند سؤاله عن الإمام ، إذ اعــتمد الشــاعر في هذه الــقصيدة عــلى براعــة الاستهلال ؛ للتأثير في نفوس السامعين فيقول الجاحظ في ذلك " وليكن في قدر كلامك دليل على حاجتك كما أنّ خير أبيات الشعر الذي سمعت صدره عرفت قـافيته " [17]، فحاجة الشاعر هُنا تكمن في توجيه الكلام إلى هشام بن عبد الملك وفي ذلك عمد الفرزدق إلى تقديم القصيدة بصورةٍ موحية ومؤثرة تتناسب مع الموقف آنذاك وهذه آلية من آليات الحِجاج إذ استحضر المعاني والألفاظ التي تحفّز المتلقي فالبيت الأول من القصيدة(هذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَــهُ ....) هو افتراض مُسبق واقعي ؛ لأن الإمام زين العابدين عليه السلام معروف في مكة المكرمة لكنّ الشاعر بدأ بتقديم الحِجج وسرد الصفات الثابتة التي يتحلّى بها الإمام عليه السلام يقول :(التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِــرُ العَــــلَــمُ ...) إذ استثمر الأدوات اللغوية ومنها النعت فاستعمله الشاعر في كسب واذعان

المتلقي وبذلك أصبح المتكأ الذي يفترض بصحة ما يسعى إليه المحتج وهُنا يضمن الشاعر نجاح حجاجه [18].

ثم ينتقل الشاعر بعدها إلى تقديم حِجج أخرى فيرصف البراهين إذ يـــقول :(هَذا اِبنُ فاطِمَةٍ إن كُنتَ جاهِـــلَهُ - بِجَدِّهِ أَنبـــِياءُ اللهِ قـــــَد خُتِـــــمـــوا) ليبين ويوضح للسامع منزلة الإمام عليه السلام وإن كانت غير معلومة عند البعض أو لمن يتغافلون عمداً عن هـــذه المنزلـــة فيقول هو ابن فاطمة عليها السلام وإنّ جده رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الذي يعرفه العرب والعجم وهو افتراض مُسبق واقعي ملموس ، لذا عمد الشاعر إلى استحضار حِجج واقعية وحقائق معلومة ذات فاعلية يذعن لها السامع ومن ثم تشغل فكره وتؤثر بهِ .

الخلاصة:

وفي سياق ما تم بيانه نخلص الى أنّ هدف النص الشعري الذي يقدمه الشاعر يكمن في انزال التأثير بالمتلقي وإثارة انتباهه إلى قضايا مهمة يتم طرحها فنجد الشاعر يلجأ إلى توظيف التقنيات الحجاجية على اختلاف انواعها وقواها الإنجازية لتحقق أبعاداً توجيهية يضمن الشاعر بها نجاعة حجته فتتحقق الاستمالة لديه .وهنا تكمن فطنة وقوة الشاعر في طرح حججه بالوجهةِ التي تُحقق الإقناع للمتلقي .

المصـــادر:

- – المعجم الفلسفي ، ابراهيم مدكور ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة ، د.ط ، 1403 : 67
- 2 – كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم ،محمد علي التهاوني ،تح رفيق العجم– علي دحروج د.ت ،ط1 :622
- 3 – موسوعة لالاند الفلسفية ، اندريه لالاند ، منشورات عويدات – بيروت ، ط2 ، 2001 93.
- 4 – التداولية والحجاج مداخل ونصوص ،صابر الحباشة ، صفحات للنشر والتوزيع سوريا –دمشق ، 2008 : 68 .
- 5– ينظر : اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، العمدة للطبع والنشر ، ط1 ، 2006 :8
- 6 – استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر ، دار الكتاب الجديد بيروت ، ط1،2004 : 459 .
- 7 – ينظر : نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان ، الحسين بنو هاشم : مكتبة الادب المغربي ، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، 3014: 33 .
- 8– ينظر : نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: 37.
- 9 – الحماسة البصرية : صدر الدين علي بن أبي الفرج ابن الحسن البصري، تح: مختار الدين أحمد ،عالم الكتب للنشر والتوزيع – بيروت ، د.ط، د.ت:653 . وينظر: ديوان الخنساء: تح لويس شيخو ، لبنان – بيروت ،د.ط ، 1896: 41– 44.

- 10- الحجاج في القران الكريم من خـــلال اهم خصائصـــه الأسلوبية ، عبد الله صولة, دار الفارابي- بيروت ، ط2 ، 2007 481.
- 11- الحماسة البصرية :21 , وينظر: ديوان النابغة الجعدي :تح, عبد العزيز رباح ,المكتب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان, د.ط , 1964 35.
- 12- ينظر : مدخل الى الحجاج أفلاطون وأرسطو : شايم بيرلمان ، تح :محمد الولي ، مجلة عالم الفكر- كلية الآداب والعلوم الانسانية – المغرب ، ع/2، 2011 : 29 .
- 13 – الحماسة البصرية : 792 ، وينظر: المزهر للسيوطي ،تح: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي للنشر والتوزيع مصر- القاهرة ج/1 ، د.ط ، 1361 :156 .
- 14- الحماسة البصرية : 829 ، تنسب هذه الأبيات إلى الحطية ينظر: ديوانه تح، نعمان أمين طه، مطبعة البابي الحلبي ، ط1، 1958 : 393 .
- 15 – الحماسة البصرية :468، لم أعثر عليه .
- 16- الحماسة البصرية :1/ 407- 408 , ويُنظر: ديوان الفرزدق , تحقيق عبد الله صاوي القاهرة للنشر والتوزيع والطباعة, د.ت , د.ط : 848 – 849 .
- 17- الاستهلال فن البدايات في النصّ الادبي , ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق – سوريا ، د.ط ، 2009: 55 .
- 18 – يُنظر: الحِجاج في الشعر العربي من الجاهلية الى القرن الثاني بنيته وأساليبه،سامية الدريدي عالم الكتب الحديث إربد – الاردن ، 2008 187 .